مقدّمة لرسالة يعقوب

مُقدّمة

تُعدّ رسالة يعقوب سفرا مُميّزا من بين أسفار العهد الجديد لكونها لا تشبه الشكل العام المألوف للرسائل. ولا يُعرّف الكاتب عن نفسه بصورة واضحة، كما أننا لا نستطيع أن نجزم لمن كُتبت هذه الرسالة أو ما هي الظروف التي أحاطت بكتابتها. فخلافا لرسالة أفسس، على سبيل المثال، فإن رسالة يعقوب لم تُكتب لكنيسة معيّنة، ولا يتّم توجيه التحيّات إلى أشخاص معيّنين. علاوة على ذلك، ليست هنالك تحيّة ختاميّة في نهاية السفر.

ورغم ذلك، فإن رسالة يعقوب تحظى بمحبّة كبيرة لدى القرّاء، وكثيراً ما يتم الاقتباس من آياتها، ولا سيّما في النصائح المباشرة: "كونوا عاملين بالكلمة". وتتمتّع رسالة يعقوب بمكانة مرموقة بين أسفار العهد الجديد باعتبارها سفرا عمليّا جدّا. ولا تشتمل هذه الرسالة على الكثير من التعاليم اللاهوتيّة المتطوّرة بقدر ما تحتوي على تعاليم تتعلّق بكيفيّة عيش الحياة المسيحيّة. ومن المؤسف أنّ هذه الرسالة لم تحظ بالاحترام والتقدير الذي تستحقّه. فقد ادّعى لوثر، على سبيل المثال، أنّ رسالة يعقوب "تشوّه الكتاب المقدّس وبأنّها تُعارض كتابات الرسول بولس وغيره من كتّاب الأسفار الكتابيّة". ورغم ذلك، ينبغي أن نفهم بأن لوثر كتب ذلك من منطلق اهتمامه (ولا سيّما أثناء فترة الإصلاح) بالدفاع عن عقيدة التبرير بالإيمان فقط.[1]

أوّلا: الكاتب

تبدأ الرسالة بذكر اسم الكاتب، يعقوب، الذي يظهر في النص اليوناني على أنّه "إياكوبوس" (Ἰάκωβος)، أي "يعقوب" (الاسم الإنجليزي "James" مأخوذ عن الترجمة اللاتينيّة). ومع ذلك، فإن الكاتب لا يُعرّف عن نفسه بأنه رسول ولا يُلمّح لأي شيء آخر يُمكن أن يشير إلى هويته. فهنالك عدّة أشخاص في العهد الجديد يحملون هذا الاسم "يعقوب" ويُمكن أن يكون أيّ منهم هو الكاتب. فعلى سبيل المثال، هُنالك يعقوب بن زبدي المذكور في الأناجيل، وهُنالك يعقوب بن حلفى (متّى ١٠:٣) وهو الذي يُرجّحه الكثيرون من الكاثوليك وحتّى كالفن. أمّا يعقوب بن زبدي فقد قُطع رأسه في عهد هيرودس أغريباس الأوّل سنة ٤٤ ميلاديّة (انظر أعمال ١٢:٢) مما يجعلنا نحذفه من القائمة إلّا إذا كانت الرسالة قد كُتبت قبل ذلك التاريخ. وقد اقترح كُلّ من إيراسموس ولوثر أن شخصا مجهولا اسمه "يعقوب" هو الكاتب.

---

[1] Luther's *Workes* ٣٥: ٣٩٧. إن وجه التباين الذي تخيّل لوثر وجوده في النص يعقوب ٢: ١٤–٢٦ قد لا يُشكّل تهديداً لعقيدة التبرير على الإطلاق. فمن المُحتمل أن يعقوب يتحدث عن قضية أخرى تماماً.

وفي مرحلة لاحقة، قال بعض النقّاد إنّ كاتبا زائفا ألّف هذا السفر وادّعى بأن اسمه يعقوب لكي يُضفي على كتابته صبغة السُلطة والقانونيّة. لكنّ المشكلة في هذا الرأي الأخير هو أنّه كان بإمكان ذلك الشخص أن يُعرِّف عن نفسه بوضوح على أنّه رسول أو على أنّه "أخو الرب" لو أنّه كان عازما فعليّا على إضفاء الصبغة القانونيّة على عمله.

أمّا الرأي التقليدي (والذي يُرجّحه الكاتب الحالي) فيقول بأن يعقوب "أخو الرب" هو كاتب هذا السفر. وما يُدعِّم هذا الرأي هو السُلطة الظاهرة في أسلوب الكاتب. إنّه لا يدعو نفسه رسولا ولا يُعبّر عن هويّته بأنه كان أخا حقيقيّا للرب يسوع. وهذا يوحي بأنّه لم يكن يشعر بالحاجة لتعريف نفسه بصورة أكثر دقّة وبأنه كان يعرف بأن القرّاء سيعرفون من هو. وقد كان هُنالك شخص واحد في الكنيسة الأولى يتمتّع بهذه المكانة؛ وهذا الشخص هو يعقوب أخو الرب. ومن خلال سفر أعمال الرُسُل وتاريخ الكنيسة الأولى نعرف بأن يعقوب هذا كان قائدا له مكانته في مجمع أورشليم (أعمال ١٥) وبأنّه كان القائد الرئيسي للكنيسة الأمّ في أورشليم.

وليس غريبا أنّ العلماء الكاثوليك قد رفضوا فكرة أن يعقوب كان أخا حقيقيّا للرب وذلك بسبب سعيهم للدفاع عن "البتوليّة الدائمة" لمريم. لكنّ متّى ٥٥:١٣ يذكر بوضوح أنّ الرب يسوع كان له أخوة وبأن أحدهم كان يُدعى يعقوب (ممّا قد يعني بأن مريم لم تبق بتولا بعد ولادة يسوع). وبالطبع، فإن الكاثوليك على دراية بهذه الآية، لكنّهم تجنّبوا معناها بالقول بأن الكلمة اليونانيّة التي تُترجم "أخوة" يُمكن أيضا أن تُترجم "أبناء الخال أو الخالة".[٢] ومع ذلك فإن الرأي الكاثوليكي ليس مُدعّما بشكل كاف وذلك للأسباب التالية: (١) لماذا يشعر البشير متّى، بعد أن ذكر بأن يوسف أبقى على عذريّة مريم، بالحاجة إلى إضافة العبارة "حتّى ولدت ابنها" ما لم يكن يعرف بأن عذريّتها كانت أمرا مؤقّتا؟ (٢) في لوقا ٧:٢، يذكر البشير لوقا أنّ مريم ولدت ابنها "البكر" ممّا يعني بأنّه كان هنالك أبناء آخرون، وأن يسوع كان المُميّز بينهم باعتباره "الابن البكر".[٣] (٣) الكلمة (υἱος) تعني عادة "أخ" في العهد الجديد وليس ابن الخال أو ابن الخالة، رغم أن المعنى "ابن خالة" مستعمل في الأدب غير الكتابي. علاوة على ذلك، توجد في اليونانيّة كلمة أكثر دقّة تعني "ابن الخالة" وهي ἀνεψιός (انظر كولوسي ١٠:٤). (٤) يتحدث أوريجينس (نحو سنة ١٨٥–٢٥٤ ميلاديّة) عن رأي "البتوليّة الدائمة" ويقول بأنّ هذا الرأي كان مقبولا من قبل "بعض الناس" (ممّا يعني بأنّ الغالبيّة لم تكن تؤمن بهذا الرأي).

[٢] قام أحد آباء الكنيسة الأولى، وهو جيروم، بنشر هذا الرأي الذي يطلق عليه أحيانا اسم "الرأي الهيرونيمي" (نسبة إلى هيرونيموس، وهو أحد آباء الكنيسة الأولى).

[٣] ينبغي علينا أن نُلاحظ بأن البشير لوقا لا يدعو ابن مريم "ابنها الوحيد" (μονογενης υἱος)، وهو تعبير استخدمه للحديث عن الأرملة التي كان لديها ابن واحد فقط في لوقا ١٢:٧ (قارن مع لوقا ٤٢:٨)، لكنّه يقول "ابنها البكر" (υἱον αὐτης τον πρωτοτοκον).

بالإضافة إلى هذه القضيّة الكاثوليكيّة التي قد تُعارض أن يكون الكاتب هو يعقوب أخو الرب على أسس لاهوتيّة، فقد قام آخرون بمعارضة الرأي التقليدي لأسباب أخرى:

١. ادّعى بعض العلماء بأن السفر مكتوب بلغة يونانيّة بارعة لا يُمكن ليهودي من فلسطين أن يتقنها بهذه الكيفيّة. إلاّ أنّ هذا جدل غير موضوعي (لا يتفق جميع العلماء مع هذا القول)، وينبغي علينا أن ننتبه إلى أنّ لغة سفر يعقوب ليست بدرجة براعة اللغة اليونانيّة التي كُتب بها سفر العبرانيّين، كما أنّها ليست بتلك اللغة التي تفوق إمكانيّات قائد مسيحي قضى جزءا كبيرا من حياته في أورشليم حيث كانت اليونانيّة شائعة الاستعمال.

٢. عارض آخرون الرأي القائل بأن يعقوب أخو الرب هو كاتب هذا السفر بسبب عدم احتواء الرسالة على إشارة إلى مواضيع مسيحيّة مثل موت الرب وقيامته. لكنّنا نقول بأن اختيار يعقوب للمواضيع كان يعتمد على اهتماماته بالجوانب التي كتب فيها (وهي في هذه الحالة اهتمامات أخلاقيّة).

٣. عارض قسم آخر الرأي التقليدي بسبب حقيقة أنّ الكاتب لا يدّعي بأنّه رسول أو بأنّه أخو الرب. من جانب آخر، فإن البشير لوقا لا يذكر مثل هذا الشيء عن يعقوب حتى في سفر أعمال الرسل (لاحظ أعمال١٥:١٣) ومن الإنصاف القول بأنّ علاقة يعقوب الروحيّة بالرب يسوع ترجح على علاقته الأرضية به.

ما من شك في أنّ يعقوب أخو الرب كان أكثر قادة كنيسة أورشليم شهرةً. كما أنّ هنالك إشارات ودلائل داخليّة في رسالة يعقوب تُدعّم هويّة الكاتب. ورغم أنّ هذه الإشارات يُمكن أن تنطبق على أشخاص آخرين، إلاّ أنّه من المؤكّد أنّ الكاتب كان ضليعا في العهد القديم وبأنّه كان يُفكّر بتلك الطريقة (كما يُمكننا أن نتخيّل يعقوب أخو الرب). والكاتب هو الوحيد بين كتّاب العهد الجديد الذي يستخدم اللقب المُميّز "ربّ الجنود" (٤:٥)؛ وهو تعبير شائع في العهد القديم. وهو يذكر وحدانيّة الله على أنّها الحقيقة المركزيّة في الإيمان (١٩:٢)، ممّا يعكس قراءة اليهود اليوميّة لصلاة "اسمع يا إسرائيل" (تثنية ٤:٦). كما أنّ الكاتب يعرف الصيغ التي يستخدمها اليهود في الحلف والقسم (١٢:٥). والحجّة الأقوى على أنّ يعقوب أخا الرب هو الكاتب هي تشابه حديث يعقوب في أعمال ١٥ مع نمط الرسالة.[٤] فعلى سبيل المثال، عبارة "يهدي السلام" (χαίρειν) ترد في يعقوب ١:١ وفي أعمال ٢٣:١٥ رغم أنّها تستعمل مرة أخرى فقط في كُلّ العهد الجديد.

[٤] للاضطلاع على التفاصيل، انظر Hiebert, *The Epistles of James*, rev. ed., ١٧؛ و J. B. Mayor, *The Epistle of Saint James*, iii.iv. كذلك فإن هايبرت (١٨) يشير إلى أوجه الشبه بين رسالة يعقوب وبين موعظة يسوع على الجبل في متّى ٥–٧ مثل التشابه بين يعقوب ١٢:٥ ومتّى ٣٣:٥–٣٧.

إن القول بأنَّ يعقوب أخو الرب هو كاتب هذه الرسالة ليس مثيرا للدهشة على الإطلاق. فالرسول بولس يُلمّح إلى أنّ يعقوب كان رسولا في غلاطية ١٩:١. وكما ذكرنا آنفا، فقد أصبح يعقوب قائد الكنيسة الأولى في أورشليم (لاحظ أعمال ١٧:١٢؛ ١٣:١٥؛ ١٨:٢١). ومع ذلك، لم يكن يعقوب قبلا راسخ الإيمان بصورة دائمة. ففي عيد المظال الذي جرى قبل ستّة أشهر من صلب يسوع (انظر يوحنّا ٥:٧)، نُلاحظ أنَّ إخوة يسوع لم يكونوا يؤمنون به. ورغم ذلك، فإن الكتاب المقدَّس في ١ كورنثوس ١٥: ٧ يخبرنا أن يسوع المُقام ظهر ليعقوب، وهو حدث أدّى إلى تغيير هذا الأخ القاسي القلب الذي ربما كان يُعاني من عدم مقدرته على التصديق بأنّ يسوع هو المسيّا. وبدءاً من تلك اللحظة، بدأ يعقوب يحظى بالشهرة بسرعة كبيرة في الكنيسة الأولى. ولربما كانت زيارة بولس ليعقوب المدوّنة في غلاطية ١٩:١قد جرت في صيف سنة ٣٧ ميلاديّة؛ وهي أوّل زيارة يقوم بها الرسول بولس لأورشليم. وقد كتب الرسول بولس عن يعقوب واصفا إياه بأنّه أحد "أعمدة" الكنيسة (غلاطية ٩:٢). كما أنّ مكانته في أورشليم تظهر جليّة في أعمال ١٧:١٢ حيث نجد بأن نبأ الفرار المعجزيّ لبطرس من السجن كان يجب أن يصل إلى يعقوب (قبل موت هيرودس أغريباس الأوّل في سنة ٤٤ ميلاديّة). وفي أعمال ١٥، يظهر يعقوب بصفته القائد الرئيسي في مجمع أورشليم (في خريف سنة ٤٩ ميلاديّة). وبعد قيام الرسول بولس برحلاته التبشيريّة، قام بزيارة يعقوب الذي كان ما يزال القائد هناك (أعمال١٨:٢١–٢٥ في سنة ٥٧ ميلاديّة تقريبا).

قام يعقوب بخدمة الرب بأمانة في أورشليم لمدّة تصل إلى نحو ثلاثين سنة. وقد كان صيته كقائد مسيحي مُنتشر في أوساط أخرى كثيرة خارج نطاق الكنيسة الأولى. فيوسيفوس، وهو مؤرّخ يهودي شهير عاش في القرن الأول، يدوّن موت يعقوب في سجلاّته.[٥] فعقب موت الحاكم فستوس (سنة ٦٢ ميلاديّة)، قام الكاهن الأعلى الشاب المُعيّن حديثاً واسمه "حنانوس الثاني" (Ananus II) بـ "عقد مجلس اليهود الأعلى، وأمر بأن يمثل أمامه أخو يسوع – الذي كان يُدعى المسيح – والذي كان اسمه يعقوب وبعض الأشخاص الآخرين. وحينما لفَّق ضدهم تهمة بأنّهم خرقوا الشريعة قام بتسليمهم لكي يُرجَموا بالحجارة".[٦] ومن جانب آخر، كانت الجموع اليهوديّة تشجب القتل العمد. وبسبب الحياة البارّة التي عاشها يعقوب فقد حظي بلقب "يعقوب البارّ".

وبسبب الروابط الوثيقة التي كانت تربط يعقوب بكنيسة أورشليم، فقد كان شديد القرب من الشريعة ومن نمط الحياة اليهوديّة. وقد كان هنالك العديدون من كنيسة أورشليم، ومنهم يعقوب، الذين عاشوا بحسب الشريعة كنظام حياة (ولكن ليس كوسيلة للخلاص). لكنّ يعقوب لم يكن مهوّدا مسيحيّا ضيّق الأفق كما نرى من خلال الأحداث التي جرت في مجمع أورشليم.

بل إنّه يكتب بروح أنبياء العهد القديم؛ وهو لا يكتب بلهجة تأديبيّة فحسب، بل وأيضا بلهفة للحق، والالتزام، والعاطفة، والعدل. وبحسب فكر يعقوب، فإنه ينبغي على المرء أن يحيا الحياة المسيحيّة بالقول والفعل!

---

٥ Josephus, *Antiquities of the Jews*, ٢٠- ٩–١٠.

٦ مقتبسة من Hiebert, ٣٢.

ثانيا: تاريخ الكتابة

إذا كنّا مُصيبين في تحديدنا لهوية الكاتب بأنّه يعقوب أخو الربّ، فلا بُد أن تكون الرسالة قد كُتبت قبل سنة ٦٢ ميلاديّة حيث أن يعقوب مات في هذه السنة. لكن، رغم ذلك، يُمكن القول بأنّ يعقوب كتب الرسالة قبل وقت طويل من موته. وينبغي هنا أن ننتبه إلى الملاحظات التالية: (١) ليس هنالك أيّ ذِكْر للأمم أو للصراعات بين اليهود والأمم؛ (٢) ليس هنالك إشارة إلى الخلاف على ختان الأمم (وهي القضيّة التي كانت سائدة في زمن مجمع أورشليم في سنة ٤٩ ميلاديّة)؛ (٣) ليست هنالك إشارة إلى الرحلات التبشيريّة؛ (٤) يكتب الكاتب عن الإيمان والأعمال، لكن دون أن نشعر بالحاجة إلى الدفاع عن التبرير بالإيمان كما لو أنّ مُلاحظاته تعارضت مع ما كتبه الرسول بولس في رسائله (ممّا قد يوحي بأنّه قد كتب رسالته قبل أن يكتب الرسول بولس رسائله).

إذا كانت غلاطية هي أوّل رسالة كتبها الرسول بولس (كما هو سائد) وأنّها كُتبت قبل انعقاد مجمع أورشليم في خريف سنة ٤٩ ميلاديّة بوقت قصير، فلربما كانت رسالة يعقوب قد كُتبت قبل ذلك التاريخ. ورغم أنّه من المُمكن أن يكون تبشير الأمم قد بدأ في سنة ٤١ حين تمّ إرسال برنابا إلى أنطاكية (أعمال ٢٢:١١)، إلاّ أنّ الرسول بولس لم يبدأ رحلته التبشيريّة الأولى حتّى سنة ٤٨ ميلاديّة (فقد تمّ إحضار بولس إلى أنطاكية في ربيع سنة ٤٣ ميلاديّة).

إن ذِكْر كلمة "الشتات" في يعقوب ١:١ ليس بالأمر الواضح تماما (لكن اقرأ النقاش حول ذلك في القسم الرابع لاحقا)؛ فأوّل شتات نعرفه كان عند استشهاد استفانوس (انظر أعمال ١:٨–٤). فإن كان المسيح قد مات في سنة ٣٣ ميلاديّة، فلا بُدّ أن الشتات المذكور في أعمال ١:٨–٤ قد جرى في سنة ٣٥ ميلاديّة (بعد سنتين من صلب يسوع). وبالتالي، فإن المُعدّل المتوسّط المُرجّح لتاريخ كتابة هذه الرسالة يقع بين سنة ٣٥ و٤٩ ميلاديّة، ولا يُمكننا أن نكون أكثر دقّة من هذا. ويقترح كُلّ من "هايبرت" (Hiebert) و"مو" (Moo) تاريخا يقع في منتصف الأربعينات (سنة ٤٥ ميلاديّة).[٧] و"هودجيز" (Hodges)، الذي يتبنّى الرأي القائل بأنّ الرسالة كُتبت لليهود المؤمنين في فلسطين والذين تشتّتوا بعد وقت قصير من استشهاد استفانوس، يُفضِّل الرأي القائل بأن الرسالة كُتبت إمّا سنة ٣٤ أو ٣٥ ميلاديّة.[٨] وفي ضوء فهمي لكلمة "الشتات" المذكورة في يعقوب ١:١، فإنني أميل إلى ترجيح تاريخ يقع بين سنة ٣٧–٤٣ ميلاديّة.

وفي جميع الأحوال، من المعقول جدّا أن تكون رسالة يعقوب هي أوّل رسالة كُتبت من رسائل العهد الجديد، وربما كانت تسبق جميع رسائل الرسول بولس.

---

[٧] Hiebert, ٣٦; Douglas J. Moo, *The Letter of James*, The Pillar New Testament Commentary (Grand Rapids, MI: Wm. B. Eerdmans, ٢٠٠٠), ٢٥.

[٨] Zane Hodges, The Epistle of James: Proven Character Through Testing (Irving, TX: Grace Evangelical Society, ١٩٩٤), ١٢.

ثالثا: قبول الرسالة ضمن الأسفار القانونيّة للعهد الجديد

مَرّ قبول قانونيّة رسالة يعقوب بعمليّة بطيئة، ربما بسبب حقيقة أنّها لا تحتوي على إشارة إلى سُلطة رسوليّة، ولأنّها لم تُكتب لمنطقة أو كنيسة معيّنة. وحتّى لوثر كان لديه علامات استفهام حول قانونيّة هذه الرسالة في وقت الإصلاح رغم أنّه لم يستثنها من قائمة الأسفار المقدّسة القانونيّة.[٩] وأوّل كاتب معروف استشهد بهذا السفر هو أوريجينوس (نحو سنة ١٨٥–٢٥٤ ميلاديّة). وفي شرحه لإنجيل يوحنّا (الجزء ١٢٦)، يستشهد برسالة يعقوب على أنّها سفر قانونيّ. ورغم أنّه شخصيّا لم يكن لديه أيّة شكوك بشأن قانونيّة هذه الرسالة، إلاّ أن كتاباته ومؤلّفاته تكشف عن أنّ رسالة يعقوب لم تكن معروفة على نطاق واسع في زمن الكنيسة الأولى (أنظر شرحه *Comm. On John*, ١٩,٦). ورغم أن أوريجينوس هو أوّل شخص نعرف بأنه أشار إلى رسالة يعقوب، إلاّ أن هنالك دليلاً على وجودها واستعمالها قبله. فعلى سبيل المثال، هنالك أصداء قويّة لهذه الرسالة في "رسالة إكليمندس إلى أهل كورنثوس" Clement's *Epistle to the Corinthians* (وهي رسالة كُتبت بعد زمن الرُسُل ويعود تاريخها إلى سنة ٩٠–١٠٠ ميلاديّة) وأيضا في "الراعي لهرماس" *The Shepherd of Hermas* (نحو سنة ٩٠–١٤٠ ميلاديّة).

ولم يتم الاعتراف برسالة يعقوب من قبل الفرعين الغربي والشرقي من الكنيسة الأولى حتّى القرن الرابع للميلاد. [ورغم ذلك، يجب أن نتذكّر دائما أنّه كان هنالك ميل في الكنيسة السوريّة لعدم قبول جميع الرسائل العامّة]. وقد كان مؤرّخ الكنيسة الأولى "يوسيبوس" (حوالي سنة ٣٢٥ ميلاديّة) على اطّلاع تامّ بالتردّد السائد حول قبول قانونيّة بعض الأسفار، ولهذا السبب فقد قام بإعداد عدّة فئات تصنيفيّة للتمييز بينها، وقام بوضع رسالة يعقوب ضمن فئة تُدعى antilegomena – أي الأسفار المُختلف عليها من قبل بعض فروع الكنيسة.[١٠] ومع ذلك فقد ذكر بأنّ رسالة يعقوب وغيرها من الرسائل العامّة كانت شائعة الاستخدام في غالبيّة الكنائس.[١١] ولا شك في أنّ الاعتراف بقانونيّة رسالة يعقوب من قِبَل جيروم كان له تأثير كبير على الكنيسة الأولى، وقد تم الاعتراف بقانونيّة الرسالة في مجمع روما (سنة ٣٨٢ ميلاديّة) ومجمع قرطاجة (سنة ٣٩٧ ميلاديّة).

---

[٩] في العهد الجديد الذي نشره لوثر باللغة الألمانية في سنة ١٥٢٢، قام (لوثر) بوضع رسالة يعقوب (مع رسالة العبرانيّين، ورسالة يهوذا، وسفر الرؤيا) في جزء مستقل عن جميع الأسفار الأخرى. وفي مكان آخر دعا رسالة يعقوب بأنّها "رسالة قش". انظر F.F. Bruce, *The Canon of Scripture* (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, ١٩٨٨)، ٢٤٣.

[١٠] أوسابيوس، تاريخ الكنيسة، ٣–٢٥.

[١١] نفس المرجع السابق، ٢–٢٣.

رابعا: الأشخاص الموجّهة إليهم الرسالة

خلافا لغالبيّة الرسائل في العهد الجديد، لم تُكتب رسالة يعقوب إلى كنيسة مُعيّنة في منطقة ما. فبحسب يعقوب ١:١، كُتبت الرسالة إلى "الاثني عشر سبطا المُشتّتين في الخارج" (بحسب الترجمة الأمريكيّة القياسيّة الجديدة – NASB). أمّا الترجمة الدوليّة الجديدة (NIV) فهي أكثر تفسيرا: "إلى الإثني عشر سبطا المُشتّتين في وسط الأمم". لكن رغم ذلك، فإن عبارة "في وسط الأمم" ليست مذكورة في الأصل اليوناني رغم أنّه ربما كانت هذه هي الطريقة الأنسب لفهم "الشتات". فالنص اليوناني يقول (ἐν τῇ διασπορᾳ) (أي "في الشتات"). وأحيانا، كانت كلمة "شتات" تستعمل بالمعنى الاصطلاحي للإشارة إلى الأراضي الواقعة خارج فلسطين حيث كان يعيش الكثير من اليهود نتيجة للظروف التاريخيّة مثل السبي (قارن يوحنّا ٣٥:٧). وربما كانت الترجمة الدوليّة الجديدة (NIV) قد تأثّرت بهذا الاستعمال الاصطلاحي للكلمة.

وعلى أيّ حال، ليس هنالك مسوّغ للتفكير بأن كاتب رسالة يعقوب كان يُخاطب العالم اليهودي بمجمله، أي بمن فيهم اليهود غير المُخَلّصين. فبعد تلك المقدمة مباشرةً، في يعقوب ١: ٢، يتحدّث الكاتب إلى القرّاء مخاطبا إيّاهم بـ "يا إخوتي" (قارن ١٦:١؛ ١٩:١؛ ١:٢؛ ٥:٢؛ ١:٣؛ الخ) ويشير في ١٨:١ إلى خلاصهم السابق من الخطيّة حين يكتب قائلا: "شاء فولدنا بكلمة الحق". وفي ١:٢ أيضا يقول "نظراً لإيمانكم بربّنا يسوع المسيح ..." (ترجمة كتاب الحياة). وفي الرسالة كلّها نجد بأن الكاتب يفترض بأنّ القرّاء يتبوءون مكانا في عائلة الله (بصرف النظر عن كلماته الشديدة اللهجة للذين يرتكبون الخطايا). علاوة على ذلك، لماذا يُشير يعقوب إلى نفسه على أنّه "عبد المسيح" (δοῦλος) لو كان يكتب لجميع يهود الشتات؟ وبالتالي، من المُرجّح أن الكاتب لا يستعمل هذا المصطلح بمعناه الاصطلاحيّ الذي يعني يهود الشتات.

قد نتمكّن من الوصول إلى فهم أفضل ليعقوب ١:١ عن طريق مُلاحظتنا لكيفيّة استعمال العهد الجديد للصيغة الشبيهة بكلمة "شتات" في أماكن أخرى. ففي أعمال ١:٨، تُستعمل الكلمة بصيغة الفعل "تشتّت" (διασπείρω) للإشارة إلى تفرُّق المؤمنين عقب استشهاد استفانوس (ربما نحو سنة ٣٥ ميلاديّة)، فنقرأ في هذه الآية: "وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أورشليم؛ فتشتّت الجميع (πάντες διεσπάρησαν) في كُور اليهوديّة والسامرة." في تلك الفترة، لا بُدّ أنّ الكنيسة كانت مؤلّفة من اليهود المؤمنين (وليس من الأمميّين!) الذين أُجبروا على ترك بيوتهم والهرب إلى مناطق أخرى من اليهوديّة والسامرة. وفي الحقيقة، فقد رحل هؤلاء خارج حدود فلسطين كما يتّضح لنا من خلال أعمال ١٩:١١ "أمّا الذين تشتّتوا (διασπαρέντες) من جرّاء الضيق الذي حصل عقب استشهاد استفانوس فقد اجتازوا إلى فينيقيّة وقبرص وأنطاكية وهُم لا يُكلّمون أحدا بالكلمة إلاّ اليهود فقط". لاحظ أنّ الفعل "تشتّتوا" (διασπείρω) يرد مرّة أخرى في هذه الآية.

وبالتالي، فقد كان هُنالك ما يشبه "الشتات اليهودي المسيحي" الذي جرى في السنوات المُبكّرة من الكنيسة الأولى، ومن المُحتمل جدّا أن يكون هؤلاء اليهود المسيحيون هُم الذين يقصدهم يعقوب بشكل أساسيّ (قارن ١بطرس ١:١).

رُبما أدّت إعادة تمركُز هؤلاء اليهود المسيحيّين في أماكن أخرى إلى تمزُّق كبير في حياتهم. فأثناء محنتهم تلك لا شك بأنّهم قد عانوا الكثير وخسروا ماديّا أيضا. ومن المؤكّد أنّ هذا يتوافق مع حال القرّاء كما نعرف من الأحداث الداخلية التي تشتمل عليها الرسالة. لقد كان هؤلاء يقعون في تجارب كبيرة (يعقوب ١)، ورُبما وقعوا فريسة للأغنياء الذين استغلوا مناصبهم ومراكزهم للاستفادة من سوء أحوال هؤلاء المشتّتين (يعقوب ٢ و ٥). ورغم أننا لا نستطيع أن نُثبت أنّه ينبغي ربط يعقوب ١:١ بأعمال ١:٨ و ١٩:١١، إلاّ أنّ استعمال مُصطلح "شتات" وصيغة الفعل منه في العهد الجديد قد يوحي بأن هذا هو ما كان يعنيه يعقوب. لكنّني أودّ أن أضيف بأنّه إن كان ذلك هو واقع الحال، فلا بُد أنّه قد انقضى بعض الوقت منذ "الشتات". لقد كان هنالك بعض الوقت أمام المؤمنين لتأسيس الكنائس (لاحظ ٢:٢)، ولإيجاد عمل (١٣:٤–١٧)، وحتّى لزحف الدنيويّة (الانهماك بالشئون الدنيويّة) إلى حياتهم (١:٤–١٠).[١٢] ومن المُحتمل أيضا أنّ الآية يعقوب ١:١ تُشير إلى اليهود المؤمنين الذين كانوا مشتّتين خارج حدود فلسطين (قارن ١بطرس ١:١).

في ضوء التفاصيل المذكورة آنفا، يبدو من الأفضل أن نقول بأنّ يعقوب يكتب إلى مجموعة مؤلّفة (على الأقل) من يهود مؤمنين بالمسيح كانوا ضحايا للاضطهاد المبكّر الذي عانت منه الكنيسة ممّا اضطرّهم للرحيل إلى مناطق أخرى. وفي الحقيقة، ليس هنالك دليل يجعلنا نفهم بأن الإشارة إلى "الاثني عشر سبطا" تعني العالم المسيحي عموما (أي الأمميّين على اعتبار أنّهم إسرائيل الروحيّة). إن الطابع اليهودي للرسالة يُمكن أن يدعم الفكرة القائلة بأن يعقوب كان يقصد المسيحيّين من أصل يهودي بشكل أساسيّ. ورغم أن يعقوب يستعمل المصطلح "إكليزيا" قاصدا بها الكنيسة في ١٤:٥، إلاّ أننا نُلاحظ أيضا بأنّه يشير إلى "اجتماعهم" بالمصطلح اليهودي "المجمع" (συναγωγήν) في يعقوب ٢:٢. كذلك، فإن رسالته تعكس استعمالا واسع الانتشار للاستعارات اليهوديّة والاستعارات التي نجد مثيلا لها في العهد القديم. فعلى سبيل المثال، فإن يعقوب ١٩:٢ تُلمّح إلى صلاة "اسمع يا إسرائيل" (الشِماع) التي يردّدها اليهود يوميّا. كذلك فإن الإشارة إلى القَسَم أو الحلف في ١٢:٥ دون أيّ توضيح للقرّاء الأمميّين يوحي بأن القُرّاء كانوا يهودا.

[١٢] فيما يتعلّق بالصراع مع الشئون الدنيويّة، كتب "مو" (Moo): "انهماك الكنيسة بالشئون الدنيويّة يأخذ أشكالا عديدة: التملُّق للأغنياء، وعدم الاكتراث بالفقراء (١:٢–٤)، والانتقاد، وعدم ضبط اللسان (٩:٣–١٢؛ ١١:٤–١٢؛ ٩:٥)، والحكمة الأرضيّة والنفسانيّة والشيطانيّة (١٥:٣) ممّا يؤدّي إلى مشاجرات عنيفة (١:٤–٣)، والتكبُّر والعجرفة (١٣:٤–١٧)، والأهم من ذلك ازدواجيّة الرأي (٨:١؛ ٨:٤) وهي حالة انقصام روحيّة تتداخل مع الصلاة (٥:١–٨) وتؤدّي إلى عدم المقدرة على الإيمان (٢١:١–٢٧؛ ١٤:٢–٢٦)" (Moo, ٢٤–٢٥).

إن تعريف القرّاء على أنّهم مسيحيّين من أصل يهوديّ أرغموا على الرحيل بعيدا عن أورشليم خلال أيام الكنيسة الأولى يُساعدنا في تفسير فقرهم وحالتهم المُزرية. كتب "مو" يقول:

> كان أصحاب الأراضي الأثرياء يستغلّونهم (٥:٤-٦)؛ والأثرياء يجرّونهم إلى المحاكم (٢:٦) ويزدرون بإيمانهم (٢:٧). وإحدى الغايات الرئيسيّة للكاتب هي تشجيع هؤلاء المسيحيّين المتألّمين في وسط محنتهم، وتذكيرهم بقضاء الله العادل الذي سيأتي (٥:٧-١١) وحثّهم على الحفاظ على تقواهم في وسط محنهم وتجاربهم (١:٢-٤، ١٢).[١٣]

خامسا: الغاية من كتابة هذه الرسالة

إنني أختلف شخصيّا مع "هايبرت" (Hiebert) الذي يرى بأن الهدف الرئيسي من كتابة هذه الرسالة هو "تقديم امتحانات للإيمان الحيّ". فبحسب رأيه، يقدّم الكاتب ستّة اختبارات أساسيّة للقرّاء لاختبار إيمانهم بغية معرفة ما إذا كان حقيقيّا أم لا. وسأبيّن في تفسيري للنص، بأنني أعتقد بأنّ الكاتب يفترض بأنّ قُرّاء رسالته مسيحيون حقيقيون؛ بمعنى أنّهم قد وضعوا ثقتهم بالفعل في الرب يسوع المسيح (يعقوب ١:٢). وبسبب الاضطهاد التاريخي الذي واجهته الكنيسة الأولى، فقد واجه هؤلاء محنا وتجارب متعدّدة. وقد كانوا بحاجة للمساعدة والتشجيع لكي يتمكّنوا من الصمود في وجه تلك التجارب، وهذا ما كان الكاتب يسعى لتوضيحه لهم (فالتجارب، في نهاية المطاف، لها قيمة فعليّة). كذلك، كان هؤلاء بحاجة للتذكير بأن رحلة المسيحي على الأرض قصيرة، وأنّه ينبغي على المرء أن يتعلّم كيف يتحمّل التجارب وذلك عن طريق إبقاء نظره مُثبّتا على مجيء الرب (يعقوب ٥:٨). وفي الوقت نفسه، كان هؤلاء المؤمنون مضطلعين بمسؤوليّة أن يكونوا "عاملين بالكلمة" وأن يعيشوا إيمانهم ويمارسوه فعليّا. وكان ينبغي عليهم أن لا يورّطوا أنفسهم بالخطايا مثل المحاباة (يعقوب ٢:١-١٢)، وإساءة استعمال اللسان (يعقوب ٣)، والانهماك في الشئون الدنيويّة (يعقوب ٤:١-٥). لقد كان يعقوب يُذكّرهم بأنّهم مدعوّون من قبل الرب لكي يكونوا مُكرّسين بكل ما في الكلمة من معنى للربّ يسوع المسيح!

---

[١٣] Moo, ٢٤.